"القراءة الجديدة للنص الديني"
قراءة وعرض لكتاب الدكتور عبد المجيد النجار

قراءة: د/ السعيد رحماني
أستاذ محاضر بكلية العلوم الإسلامية/ جامعة الجزائر1

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

إن التطور السريع والكثيف للعلوم والمعارف في الوقت الحاضر ولد معه الكثير من النظريات والمناهج التي تعتمد في ميادين دراسة العلوم على اختلاف موضوعاتها وتشعب جزئياتها.

وتعد العلوم الإنسانية من أهم العلوم التي تأثرت بهذا التطور، وأدى ذلك إلى خضوع موضوعاتها إلى تطبيقات هذه المناهج وتأثرها بها وتغيرها من قرن إلى آخر بل وأحيانا تتغير تطبيقات هذه المناهج في القرن الواحد عديد المرات.

وإذا كانت العلوم والمعارف الإنسانية في العصر الحاضر متداخلة ويتأثر بنتائجها كل أقطار العالم، فإن العلوم الإنسانية على التحديد تعد الأكثر تأثرا وتأثيرا، ويعد العالم العربي من بين البلدان التي تأثرت بتلك المناهج في مختلف حقول الدراسات الأدبية والإنسانية والاجتماعية تأثرا كبيرا بسبب العديد من العوامل منها الغزو والاحتلال الذي تعرضت له وتكوين نخبة من الدارسين والباحثين تكوينا غربيا، وتأثر هذه النخبة بالفكر الإنساني الأوروبي في المضمون والمنهج، فأدى ذلك إلى نقل الكثير من تطبيقات هذه المعارف ومناهجها إلى حقول المعرفة العربية الإسلامية ومنها ميدان الدراسات الإسلامي أو ما يسميه هؤلاء الدراسات الدينية، ومن بين الموضوعات التي نالت الحظ الأوفر من الاهتمام النص الديني كما يصطلح على تسميته رواد وأنصار القراءة الجديدة للنص الديني.

إن أنصار هذه المدرسة الجديدة اتخذوا لأنفسهم منهجا وأعدوا مشروعا لدراسة التراث العربي الإسلامي وإعادة قراءة النص الديني وفق منهج بحثي يستمد أصوله وقواعده من مناهج البحث في العلوم الإنسانية الغربية؛ التي نبتت في بيئة خاصة، وتأثرت بموروث تاريخي مطبوع بالصراع الحاد والعنيف بين الدين والعلم، وبالسعي الحثيث للسيطرة على ميدان السياسة والمعرفة بين رجال الدين ورجال العلم منذ القرون الوسطى الأوروبية إلى العصر الحديث، وأغفل هؤلاء معطى خاصا بالتراث العربي الإسلامي وبالدين الإسلامي هو اختلاف طبيعة الميدانين وكذا الاختلاف الجذري والعميق بين المسيحية والإسلام، وراحوا مع الأسف يطبقون الأدوات ذاتها – الخاصة بالفكر الغربي - على التراث العربي الإسلامي وعلى النص الديني على وجه التحديد، ولهذا نستطيع القول: إن دراساتهم جاءت نسخا مشوهة لما قام به المستشرقون الحاقدون على الإسلام منذ أمد بعيد، ولم ينتهوا إلى ما أعلنوا عليه ظاهريا من الموضوعية والنتائج العلمية ولا إلى إعادة قراءة التراث قراءة علمية جادة وتنقيته مما علق به من بعض الشوائب والأخطاء...

والملفت للانتباه في الآونة الأخيرة هو تحول الكثير ممن كانوا في صف التغريبيين والعلمانيين والماركسيين من ميدان بحثهم في العلوم الإنسانية وفق مناهج المدرسة الماركسية أو العلمانية إلى حقل الدراسات الإسلامية وإلى دراسة النص المقدس بالتحديد، بل ومنهم من أصدر تفسيرا جديدا للقرآن كما فعل محمد عابد الجابري في كتابه مدخل إلى القرآن وفي تفسيره التفسير الواضح للقرآن..

التصدي لنقد القراءة الجديدة للنص الديني:

لما انتشرت أفكار دعاة القراءة الجديدة للنص الديني وبدأت حيلها تنطلي على كثير من طلبة الجامعات وطلاب المعرفة الدينية في البلاد العربية وكثرة المنتسبين لهذه النحلة الجديدة كما يسميها الدكتور عبد المجيد النجار، قام بعض العلماء والباحثين الأكاديميين في البلاد العربية بالتصدي لأفكار هذه المدرسة بالنقد والتحليل والدراسة ومحاولة الكشف عن خفايا وخلفيات وأبعاد هذه النحلة حتى يكون الناس على علم بحقيقتها وأبعادها، ومن بين الدراسات التي تناولت كتاب الدكتور محمد الطالبي بعنوان "ليطمئن قلبي" وقد سمى

الأستاذ الطالبي رواد هذه المدرسة بالانسلاخ إسلاميين، وانتقد منهجهم في دراسة النص الديني ودعاهم إلى الكشف عن أنفسهم بدل التخفي والتستر وراء ذلك العنوان الرنان.

أما الدراسة الثانية التي تناولت فكر المدرسة ومناهجها بالدراسة والنقد فهي كتاب الدكتور عبد المجيد النجار بعنوان" القراءة الجديدة للنص الديني" وهذه الدراسة هي التي نود عرضها هنا والتعريف بها ليطلع عليها القراء.

الدكتور عبد المجيد النجار كاتب وباحث أكاديمي معروف لدى الأوساط الفكرية في العالم العربي والإسلامي، وهو من تونس درس بالزيتونة أولا ثم بالأزهر فهو خريج هاتين المدرستين العريقتين ويجمع بين المنهجين اللذين تتميز بهما هاتان الجامعتان العريقتان.

ومما يتميز به أستاذنا النجار الاهتمام بالفكر الإسلامي بمختلف مدارسه واتجاهاته وكذا متابعته للشأن الثقافي الإسلامي الفكري والسياسي والدعوي ومحاولة مواكبة مستجدات العصر، كما أنه تربطه صلات ودية أكاديمية بكثير من الباحثين والمثقفين العرب المعاصرين. وله أيضا إسهامات كثيرة في حقل الثقافة الإسلامية، وفي التدريس الجامعي بعدد من الأقطار العربية والإسلامية...

كتاب القراءة الجديدة للنص الديني:

القراءة الجديدة للنص الديني عرض ونقد هو كتاب متوسط الحجم من إصدار مركز الراية للتنمية الفكرية بدمشق، وتأليف الأستاذ الدكتور عبد المجيد النجار وقد جاء الكتاب في حوالي 170 صفحة وبحجم متوسط، وهو مقسم إلى تمهيد وبابين.

أما التمهيد فيتحدث عن ختم الرسالات بالرسالة الإسلامية وبنبوة محمد ﷺ وعن اللغة التي نزل بها الوحي وما تحمله من مميزات في التعبير والدلالة، كما تحدث أيضا عن مناهج تأويل النص الديني في القديم وفي الحديث، وظهور النحلة الجديدة للتأويل الديني بطريقة باطنية تكاد تشبه ما عرف في القديم من الباطنية، والملفت في هذه النحلة الجديدة هو تداعي أفراد هذا المنهج من مشرق الأرض ومغربها[1].

أما الباب الثاني فجاء بعنوان ظاهرة القراءة الجديدة للنص الديني، وفي هذا الباب يبين لنا المؤلف أن القراءة الجديدة للنص الديني هي ظاهرة تقوم على التأويل، وهي موجودة ولم تنقطع عبر الزمن فهي أي " ظاهرة التأويل في قراءة النص الديني على النحو الذي ورد في المقدمة والذي يعني التعامل مع النص الديني في استخلاص المعاني منه بما يتجاوز به مجال الاحتمالات التي تجيزها الدلالة الظنية، واقتحام مجال الدلالة القطعية وإهدارها بتآويل لا تبقي من المعاني الموضوعية شيئا يتحصل بقواعد اللغة وضوابطها التي بنيت عليها، والتي على أساسها حُمّل لسان العرب معاني الوحي، فأفضى الأمر بهم إلى أن لم يبق من الدين الذي عرفه المسلمون طيلة أربعة عشر قرنا شيء ثابت"[2].

ويرى المؤلف أنه "ما من عصر إلا وتتواصل فيه نحلة قديمة في التأويل على نفس المنوال من قبل جيل جديد، أو تنبت فيه نحلة جديدة فرقة أو أفرادا تمضي في تأويل النص بما يخالف مقتضى قواعد اللغة وقوانينها، فكما أسقطت فرق الباطنية قديما أحكام العبادة بتأويل ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ سورة الحجر 99 على أن اليقين هو درجة من درجات الاقتراب من الله، أسقطها أيضا حديثا محمود محمد طه وأتباعه بذات التأويل أو بما يشبهه، وكذلك الأمر في نحل أخرى من غلاة الصوفية وأصناف المتأولة"[3].

النحلة الجديدة في تأويل النص الديني:

يرى الدكتور عبد المجيد النجار أن مدرسة القراءة الجديدة للنص الديني هي عبارة عن نحلة جديدة ظهرت في العقود الأخيرة، وهي وإن كانت تلتقي مع النحل القديمة المشابهة لها في بعض الجوانب إلا أنها تتميز بميزة جديدة هي تفردها بمنهج خاص، وبطرق وأساليب في التأويل تعتبر جديدة إلى حد ما.

وقد بدأت هذه النحلة في الظهور ببداية إرهاصاتها بالظهور في أوائل القرن الماضي، حين وجدت نزعة تأويلية للنص الديني ذات صلة بالثقافة الغربية، لكنها ظلت نزعة فردية...

ولم تلبث هذه النزعة أن انتقلت من الطابع الفردي إلى تحولها إلى ما يمكن اعتباره ظاهرة جماعية ينتمي إليها أفراد من مختلف الأقطار العربية والإسلامية، تجمعهم أفكار متطابقة أو متقاربة، ويوحدهم منهج مشترك،

وهذا ما جعل المؤلف يصنفها على أنها نحلة جديدة واحدة وإن اختلفت في بعض الجزئيات شأنها في ذلك شأن النحل القديمة التي كانت تختلف في الجزئيات.

والملفت للنظر في شأن هذه النزعة الجديدة أنها تمتد على رقعة واسعة من العالم العربي مشرقا ومغربا، ولا يكاد يخلو منها بلد من البلاد العربية، ونحن في الجزائر على سبيل المثال نجد هذه النزعة منتشرة بوضوح في أقسام الفلسفة في الجامعات الجزائرية.

ويذكر المؤلف بعض الأسماء البارزة من رواد ومنظري هذه المدرسة فيقول: يكاد لا يخلو بلد من ممثلين لها ومنتمين إليها، وإن كان البارزون فيها بالتأليف والتنظير ليسوا بالعدد الكبير، ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال: من مصر نصر حامد أبو زيد، وجمال البنا والعشماوي ومن السودان محمود محمد طه ومن سوريا محمد شحرور ومن تونس عبد المجيد الشرفي، ومحمد الشرفي ومن الجزائر محمد أركون المقيم بفرنسا، ويتبع هؤلاء جماعة من المؤلفين ممن هم أقل منهم شهرة، ولكنهم يمشون على ذات طريقهم، كما يتبعهم جملة من الطلبة الذين أعدوا بإشرافهم أطاريح جامعية تنحو نفس المنحى التأويلي الذي عليه أساتذتهم"[4]. هذه هي النزعة أو النحلة التأويلية الجديدة، فما هي خصائصها؟ وما هي نتائج هذه القراءة على النص الديني المقدس؟ وما هي عيوبها؟

خصائص الظاهرة أو النحلة التأويلية الجديدة:

تتميز هذه النزعة الجديدة في التعامل مع نصوص الوحي- الكتاب والسنة- (النص الديني) بالتوافق القائم بينهم في الأسس الفكرية الكبرى، فهم وإن لم يكن بينهم توافق ذو منحى ترتيبي مذهبي، فإنهم يتوافقون في الأسس الكبرى وكثيرا ما يحيل بعضهم على البعض الآخر في مؤلفاتهم وفي مؤتمراتهم وندواتهم الفكرية، ولذلك نستطيع القول إنهم مدرسة قائمة تجمعها جملة من الخصائص الجامعة ويمكن إجمالها في الآتي:

أولا: ادعاء الانتماء للإسلام:

يزعم أتباع هذه النزعة الجديدة أنهم ينتمون للإسلام وأن عملهم ليس ابتعادا عن الدين ولا إنقاصا منه وإنما عمل مشروع يستمد مشروعيته من نظرية الاجتهاد، فهم يقومون بعملهم وجهدهم لقراءة النص الديني من منطلق الاجتهاد في فهم الدين، بل

ولا يقف هؤلاء عند قولهم هذا بل يدعون أن قراءتهم الجديدة للنص الديني أفضت إلى فهم صحيح للإسلام يمثل الفهم الحق الذي يجب أن نؤول إليه ونتخلص من كل الموروث القديم الذي خلفه المسلمون خلال القرون الماضية[5].

ولكن أحد رواد هذه المدرسة وهو الأستاذ الكبير محمد الطالبي يتهم هؤلاء بأنهم ماركسيون يدعون الإسلام ويتسترون خلفه ويسميهم بالماركسلاميين، ويدعوهم إلى التخلي عن التستر والنفاق في كتابه "ليطمئن قلبي".

ثانيا الطابع العلماني:

يذكر الأستاذ النجار أن معظم أتباع هذه النحلة هم من التيار العلماني بمختلف تجلياته فيقول: المنتمون إلى هذه النحلة التأويلية إن لم يكونوا جميعا من العلمانيين الذين يعتبرون الدين شأنا شخصيا لا علاقة له بالشأن الاجتماعي العام، ومنهم من ينتمي إلى العلمانية اليسارية التي تعتبر الدين في أبعاده الغيبية قضية باطلة من أصله، وربما كان بعضهم يتمسح بمسحة روحية صوفية، ولكنها ليست إلا ظاهرية، أما الجوهر فهو علماني.

وليس هذا فحسب بل يبين النجار صفة أخرى مما يتميز به هؤلاء وهي أنهم ليسوا من المختصين علميا في العلوم الشرعية ولا من المتمرسين بتراثها تمرسا عميقا، وإنما هم في الأغلب من المختصين في العلوم الإنسانية والفلسفية والتطبيقية والهندسية، وإن كان بعضهم مطلعا اطلاعا واسعا على التراث الإسلامي في جانبه الحضاري.[6].

ثالثا الصلة الوثيقة بالغرب:

يرى صاحب الدراسة أن أكثر هؤلاء تربطهم صلات بدوائر ثقافية غربية الاستشراقية منها والدينية على حد سواء، فيقول:عرف أكثر أصحاب هذه الظاهرة التأويلية بصلاتهم الواسعة بدوائر ثقافية غربية استشراقية ودينية، إما اتصالا دراسيا علميا إذ أغلبهم إن لم يكونوا جميعا هم ممن درسوا في الجامعات الغربية، وبعضهم أصبح يدرس فيها، وإما اتصالا بالتعاون البحثي عبر مؤسسات ومنظمات ذات اهتمامات استشراقية دينية، وهو ما بدا جليا في الدائرة المرجعية التي يتحرك فيها هؤلاء بالاقتباس والاستشهاد والاحتجاج، إذ لا يخلو مؤلف من مؤلفاتهم التأويلية من ذلك بشكل كبير"[7].

رابعا الكفاءة البحثية:

يشهد الكاتب لهذه الدراسة النقدية لظاهرة القراءة التأويلية المعاصرة بما يسميه بالكفاءة البحثية، والتمكن من مسالك المنهج العلمي فيقول: توفر أغلب أصحاب هذه الوجهة التأويلية على كفاءة عالية في مناهج البحث، وفي صناعة التأليف، فأغلبهم من الأساتذة الجامعيين الذين لهم باع في التمرس بالأساليب الحديثة في البحث استخداما للمصادر، وتحليلا للأفكار، واستنتاجا للنتائج من مقدماتها، وتركيبا للآراء والمواقف، وذلك بقطع النظر عن مدى صحة تلك النتائج التي توصلوا إليها.

وهذه البراعة المنهجية برأي الكاتب هي التي مكنت هؤلاء من تمرير الكثير من أطروحاتهم وجعلها تنطلي على البسطاء وعامة المتعلمين فيقول: وقد كان لتلك البراعة المنهجية دور ذو بال في كثير من الأحيان في تلبيس يذهب ضحيته من لم يكن من المختصين في العلوم الشرعية والتراث الإسلامي المتمرسين به"[8].

هذه هي بعض خصائص ظاهرة القراءة التأويلية الجديدة كما عرضها النجار في كتابه.

المبادئ الأساسية للقراءة الجديدة:

إن المستقرئ لوجوه التأويل الذي يمارسه أتباع هذه المدرسة يستطيع أن يلاحظ أن مسلك هذه النزعة يقوم على أسس ومبادئ، وهي تمثل خلفيتهم المرجعية التي توجههم في مسلكهم التأويلي للنص الديني، ولعل من أهم الأسس ما يلي:

أولا: الشك في موثوقية النص الديني:

يقول النجار في بيان هذا الأصل: يتصف موقف هؤلاء المؤولة الجدد بصفة عامة بالشك والتشكيك في موثوقية النص الديني من حيث صدوره عن النبي ﷺ على الصورة التي استقر عليها ووصلنا بها، وهو شك وتشكيك يتعلقان بالقرآن الكريم والحديث النبوي على حد سواء، وإن اختلفت في الطبيعة والدرجة بالنسبة لكل منهما اختلافا أفضى إلى تردد بين نفي المشروعية أصلا عن كون

هذا النص مصدرا للدين، وبين الاعتراف بها مع شائبة نقص فيها يضعفها ولا يلغيها. ويتجلى هذا الأصل فيما يأتي:

أ: الشك في موثوقية الحديث الشريف: إن نظرة هؤلاء المؤولة إلى الحديث النبوي يتصف بالاتفاق على التشكيك في موثوقية الحديث ونسبته إلى النبي، والتشكيك في حجيته، "فهم يرون أن الحديث النبوي كما ورد في المدونات المتداولة بين المسلمين يفتقر في كونه صادرا عن النبي ﷺ إلى الموثوقية التي يرتقي بها على أن يكون مصدرا للدين، ولهذا فإنهم في مجمل تأويلهم استبعدوه أن يكون حجة لهم في تقريراتهم التأويلية، كما استبعدوه لذات السبب أن يكون حجة عليهم في مقام الحوار معهم فيما ينتهون إليه من آراء.

ب: الشك في موثوقية القرآن الكريم: يعتبر أصحاب النزعة القرآن الكريم هو مصدر المشروعية للدين، وهو دون غيره الذي ينبغي الاعتماد عليه بل الاقتصار عليه في فهم الدين واستخلاص أحكامه، ولكنهم يحيطونه أيضا بجملة من الشكوك والمؤاخذات التي من شأنها أن تضع موثوقيته من حيث التطابق بين ما هو بين يدي المسلمين وبين ما جاء به النبي موضع شك، وذلك جراء ملابسات تتعلق بجمعه وتدوينه وترتيبه، وكان لهذه الشكوك آثارها في تأويل المعاني القرآنية المتعلقة بالأحكام العملية على وجه الخصوص.

ويستغرب المؤلف غموض موقف هؤلاء من القرآن وعدم وضوح أقوالهم في شأنه فيقول: ومما يثير الاستغراب في هذا الشأن أن المؤلفات التي اطلعنا عليها من أدبيات هؤلاء المؤولة لم يحدد أصحابها تحديدا بينا قاطعا موقفهم من القرآن فيما إذا كانوا يعتبرونه وحيا من الله تعالى نزل على محمد ﷺ ليبلغه للناس، أو هو إنتاج بشري من النبي نفسه كما ذهب إلى ذلك من تناول القرآن بالدرس من المستشرقين، فبقي موقفهم من هذا الأمر ملتبسا مثيرا للظنون...

وينطلق كثير من هؤلاء المؤولة في شكوكهم بموثوقية القرآن من مبدإ أنه نقل من النبي إلى من بعده شفويا ثم كتابة، وأن النقل هو في أصله غير موثوق به أن يكون المنقول مطابقة صورته عند المنقول منه لصورته عند المنقول إليه، إذ لا بد من أن يحدث اختلاف بين الصورتين مهما كان عليه النقلة من درجة في الصدق والتحري.

ثم إن تحول المنقول من صورته الشفوية إلى صورته- صفته- المكتوبة يعرضه لا محالة إلى تفاوت بين الصورتين بالزيادة أو بالنقص أو بالتغيير إن بأقدار كبيرة أو صغيرة. وكل هذا من شأنه أن يضع القرآن كما وصل إلينا في دائرة الشك بالنسبة لصورته التي صدر بها عن النبي الكريم"[9].

ثانيا الظنية المطلقة لدلالة النص الديني:

يقرر أصحاب هذه النزعة كما يقول المؤلف: "أن النص الديني المتمثل في القرآن الكريم بلهَ المتمثل في الحديث النبوي هو نص ظني الدلالة بصفة مطلقة، وذلك على معنى أنه مفتوح كله على احتمالات لأكثر من معنى من المعاني، وأنه ليس شيء منه بمقتصر في دلالته على معنى محدد بحيث لا يحتمل سواه، وذلك ما يترتب عليه أن أي فهم للنص الديني يدعيه مدع فإنه ينبغي أن يحظى بالاحترام، إذ هو يمكن أن يكون حقا، وإذن فإنه ليس لأحد الادعاء بأن ما توصل إليه من فهم هو الفهم الصحيح دون غيره، حتى ولو كان ذلك الفهم مما أجمعت عليه أجيال المسلمين منذ نزل الدين إلى اليوم.[10]

ثالثا حاكمية الواقع على النص الديني:

يعتمد أصحاب المدرسة المؤولة على هذا الأصل للوصول إلى القول بأن النص الديني يجب أن يؤول اليوم بناء على معطيات العصر ومن ثم التخلي عن كل ما كان يحيط بالنص الديني من معطيات الواقع والتاريخ، والتخلص أيضا من كل ما أنتجه العقل المسلم من المعارف الدينية خلال المراحل السابقة، ويشرح المؤلف هذا الأصل من أصول هذه المدرسة التأويلية الجديدة فيقول:"نقصد بالواقع ما يؤول إليه تطور الحياة البشرية من أوضاع في الفكر والسلوك، وما تنتهي إليه تلك الحياة من أحوال متمثلة في الأوضاع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وسواها.

والمقصود به عند هؤلاء المؤولة هو ذات هذا المعنى مع تحيين له بما وصلت إليه الحضارة الحديثة من أوضاع في مختلف أوجه الحياة.

إن هذا الواقع له سطوة كبيرة على فكر هؤلاء المؤولة، إلى درجة أن اتخذوا منه حاكما على النص الديني، بحيث تتحدد مدلولات هذا النص – وهي القابلية لاحتمالات غير متناهية كما بيناه آنفا- بما يفرضه هذا الواقع من أوضاع، وبذلك يصبح مدلول النص ينبغي أن يطابق تلك الأوضاع، فتكون هي

الحاكمة عليه المفسرة له، حتى إذا ما أصبح الزنا على سبيل المثال واقعا مقبولا بلْهَ أن يكون محببا في عصر من العصور، كان على القارئ للنص الديني أن يوجهه هذه الوجهة ليصبح بالتأويل دالا على هذا المعنى الواقعي. وبما أن الواقع الإنساني لا يخضع في تقلباته إلى استقرار، فإن المدلول النصي لا ينتهي هو بدوره على استقرار"[11].

وبالاعتماد على الأصل في التعامل مع النص الديني يصبح معنى هذا النص ومدلولاته متقلبة تقلب الزمن والتاريخ والواقع الاجتماعي.

رابعا إهدار التراث باعتباره فهما للنص الديني:

يرى المؤولة الجدد أن الدين الذي جاء به محمد ﷺ ليس هو الذي تدينت به الأمة طيلة أربعة عشر قرنا، وإنما هو دين آخر ما تزال النصوص متضمنة إياه، وتنتظر من يستخرجه منه بأفهام أخرى ليست هي تلك الأفهام التي استقرت عليها الأمة.

والسبب في كون الرسالة الإسلامية التي تدين بها المسلمون ويتدينون ليست هي الرسالة التي جاء بها النبي هو أن فهم تلك الرسالة كما تم من قبل الجيل الإسلامي الأول، وكما ضبطه وأرساه العلماء وخاصة منهم الفقهاء بعد ذلك كان فهما خاطئا، وتوالى الخطأ بالتناقل إلى اليوم...[12] وعلينا إذن البحث عن الفهم الصحيح والجديد للدين لأن المسلمين لم يفهموا الدين بسبب ظروفهم وطبيعة ثقافتهم.

خامسا ذاتية القراءة للنص الديني:

يتردد في مؤلفات المؤولة الجدد كثيرا فكرة ترقى إلى أن تكون أساسا من أسسهم في التأويل، وهي فكرة الذاتية المطلقة في قراءة النص الديني، وبالتالي في التدين بما تفضي إليه تلك القراءة.

وخلاصة هذه الفكرة أن النص الديني يخاطب الإنسان مباشرة خطابا مباشرا بصفة فردية، ويحمله مسؤولية قراءته ونتائجها بصفة فردية أيضا، ولهذا فإنه من حق الفرد أن تكون له قراءته الخاصة لهذا النص بما ينتهي فيها إلى ما يرتضيه من مدلول بحرية مطلقة لا يحتكم فيها إلا إلى ضميره، وخاصة وأن

هذا النص مفتوح على احتمالات من المعاني غير متناهية كما أسلفنا بيانه، وبالتالي فإنه لا حق لأحد في أن يعيب على آخر قراءته لهذا النص والنتيجة التي يتوصل إليها منها، أو يمنعه من هذه وتلك.

ويرى المؤلف أن هذه القراءة الذاتية للنص الديني المغرقة في الذاتية إلى حد التسكع ستفضي لا محالة إلى أن يكون التدين بالدين الإسلامي فهما وتطبيقا تدينا ذاتيا أيضا، قد تعدد صوره بين الناس بتعدد قراءاتهم للنص الديني...[13]

وبعد أن تحدث المؤلف عن طرق التأويل التي يتبعها أرباب هذه النحلة الجديدة وهي:

1 - التأويل الزمني بحالتيه الفردية والجماعية.

2 - التأويل اللغوي.

3 - التأويل المقاصدي.

4 - التأويل العلمي.

وينتهي إلى الحديث في الفصل الثالث من الدراسة عن نتائج التأويل في القراءة الجديدة، ويبينها في النقاط الآتية:

1 – نزع الثقة بمصدر الدين.

2 – نزع صفة الموضوعية عن الدين.

3 – إلغاء الفهم السائد للدين.

4 – التشريع لدين جديد.

أما في الباب الثاني فيتحدث الكاتب عن نقد أسس هذه القراءة الجديدة للنص الديني.

ويبين طبيعة النص الديني وما لم يفهمه دعاة القراءة الجديدة من الملابسات المحيطة بهذا النص مما أوقعهم في كثير من الأخطاء والتمحلات التي لو قدر لهم أن ينطلقوا من منطلقات موضوعية وعلمية لما وقعوا فيها.

خـاتـمـة:

وبهذا نستطيع القول إن هذه الدراسة جاءت في الوقت المناسب بالنظر إلى ما تحظى به هذه النحلة الجديدة من الترويج وما يصاحب بعض مقولاتها من البهرجة والضجيج، في غياب النقاش العلمي الهادئ بين رواد هذه النحلة وبين المتخصصين في العلوم الشرعية والمهتمين بالشأن الديني المعاصر.

هوامش:

(1) انظر النجار: القراءة الجديدة للنص الديني، ص 11- 12

(2) نفسه، ص 12.

(3) نفسه، ص 15 – 16.

(4) نفسه، ص 17 – 18.

(5) نفسه، ص 20.

(6) نفسه، ص 20 – 21.

(7) نفسه، ص 21 – 22.

(8) انظر النجار نفسه، ص 22 – 23.

(9) نفسه، ص 29 - 30.

(10) نفسه، ص 33 – 34.

(11) نفسه، ص 38 – 39.

(12) نفسه، ص 42- 43.

(13) نفسه، ص 46 – 47.